هو النبي المنتظر

مسرحية شعرية

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

تقدمة

أبطال هذه المسرحية الشعرية جماعة من شعراء العصر الجاهلي ، هم : زهير بن أبي سلمى ، وحسان بن ثابت ، وأعشى قيس ، وقس بن ساعدة. قد جعلناهم في المسرحية هنا يلتقون ويتحادثون ؛ وقد لا يكونون من الناحية التاريخية الزمنية التقوا ، أو جمعتهم دار واحدة ، أو ضمهم مجلس يدور فيه الكلام ، أو تقع فيه الأحاديث

وأولهم « زهير » مات قبل البعثة ، وثانيهم « حسان » عاش في الجاهلية وعمر في الاسلام ، وثالثهم أعد النبي قصيدة يمدحه بها ويعرض إسلامه ، إلا أن الله لم يشرح صدره ولم يوفق له ، ورابعهم عاش في الجاهلية

ولقد حاولت أن أعرض هنا ألوانا من تفكير كل واحد منهم ، وطرفا من معيشته يبدو خلال حديثه ، كما تدلنا على ذلك كتب التاريخ والأدب .

« فزهير » حكيم مفكر يؤمن بالبعث والحساب ، ويعتقد بالثواب والعقاب ، وقس يشعر ويخطب ، وينظر في الكون وما فيه من ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج فيؤمن بأن له موجداً أوجده ، ومنشئا دبره ، « وحسان » يحس في قرارة نفسه بأنه سيكون له في الغد شأن ، وأن الأقدار تعده ليكون لساناً صارما ، ويكاد يلمح من خلال الغيب ومن وراء السحب مكانه في الاسلام وشهادة النبي له بالجنة

أما « الأعشى » فهو عابث خليع ، . . يلهو ويلعب ، ويشرب ويطرب ، ويرى الحياة لذة ومتاعا

المشهد

يجلس هؤلاء الشعراء الأربعة في ناحية من نواحي مكة ، بعد أن جمعهم موسم الحج ، وعلى « زهير » وقار وهدوء ، وهو مطرق إلى الأرض ، بينما يرفع « قس » بصره ، ويقلب وجهه في السماء ، « والأعشى » يبدو في المجلس وقد عاودته خفة الطرب ، وظهرت عليه مسحة من روح عابثة ماجنة ، وبجانبه « حسان » تتحرك شفتاه ويكاد يبدو من بينهما لسانه كأنه يريد أن يقول شيئا ... ثم يبدأ الحوار هكذا :

الأعشى :

حَلَفْتُ بهـــا وبأَرْبابها ... وَبالنَّعَمِ الحُمْرِ في بابهـــا

وبالمَنْبِذِ الطُّهْرِ في أرضها ... وبالرُّكْنِ منها وَمحرَابها

وَكُومِ المطَايا وقد أقبلتْ ... تُساقُ إلى يَدِ حُجَّابهـــا

لأَتَّخِذَنْ بهـــا طَوْفَتي ... وَأَقضِي الحقوقَ لأصحابها

وَأَرْجِعُ بَعْـــدُ إلى دارتي ... وفي النَّفْسِ من حُبِّهَا ما بها

فأَنْشقُ من طِيبِ رِيحَانِهَا ... وَأَشربُ من خَمْرِ أعْنَابها

وَأَلْوِي بها غُصْنَ فتَّانةٍ ... يُلَفُّ الشـــبابُ بأثوابها

فأُسْمِعهـــا الشِّعْرَ مُسْتَعْذَبًا ... وَتُسْمِعُني لحنَ أعصابها

زهير :

ظننتَ حياةَ المرءِ يا شيخُ غادةً ... تُلَفُّوا كوابَأنْراقُ وتُسْكَبُ

دَعِ القَصَبَاتِ اليومَ واسمعْ لحكمةٍ ... يؤلِّفها شِعْرًا حكيمٌ مجرَّبُ

أَمَالكَ في الشِّعرِ المهذَّبِ غايةٌ ... ومالكَ في صدقِ التجاربِ مَطْلَبُ

وَحَتَّامَ تلهو والزَّمانُ كما ترى ... يجيء بأَحْداثٍ جِسامٍ ويذهب

عجبتُ لمن يَقضِي الحياةَ مُلاعباً ... وأيامُهُ من جِدِّها ليس تلعب !

الأعشى :

ما العيشُ إلاَّ الأَصْبَابَاتُ موزَّعَةٌ ... وَمُتعةٌ وَلَذَاذاتٌ وأَوْطَارُ

كم مجلسٍ كان لى فيه مُعَابثةٌ ... وأربُعٌ كان لى فيهن أسمارُ

تَظَلُّ فيها العذارَى يَرْتَمِينَ عَلَى ... بُسْطٍ وشاهدُنَا جُلٌّ وأزهارُ

وكم وقفتُ عَلَى الأطلالِ أسألُها

قس : وهل تجيبُك فى الأطلال أحْجارُ ؟

الأعشى :

بالله هلْ نَغَصَّتْكَ اليومَ فلسفةٌ ... وحكمةٌ نَظَمَتْها منك أشعارُ ؟

وهلْ تجاريبُك الغرّاء نَافِعةٌ ... إذا نأتْ بكَ بعد الموْتَةِ الدارُ

وهل أتَتْنَا من الماضين تَذْكِرَةٌ ... أو طالَعَتْنَا من الفانين أخبارُ

قس :

عَجِبْتُ لِأعشَى قَيْسٍ وَهْوَ يداورُ ... ويُمْعِنُ فى أهوائه ويُكابرُ

فما صَرَفَتْهُ عن هَواهُ شريعةٌ ... ولا ردَّه عن لهوهِ اليومَ زاجرُ

تجاذِبُه تلكَ القِيانُ فؤادَهُ ... وَتَفْتِنَهُ تِلكَ المها وَالجآذِر

فهلْ فَتَنَتْهُ فى السماء نجومُها ... وَهُنَّ بآفاق السماء زَوَاهِر ؟

وهل ليلُها الداجى يُفتِّقُ ذِهنَه ... وهل صُبحُها اللمّاحُ والضوءُ باهر

وهل فَتَنَتْه الريحُ والريحُ عاصِفٌ ... وَأثَّر فيه البحرُ والبحر هادِر

بَدائِعُ شادَتْها يَدُ القادرِ الذى ... تَدِين لهُ الدنيا وَتَعْنُو الجبابر

هُوَ الموتُ ما فى الموتِ شكٌّ على امرئٍ

وفيه من بعدِ الحياةِ المصائرُ

وَمانحن إلا الواردون على الرَّدى ... وَلَوْ كُثِّرَتْ بالواردين المصادِر

زهير :

يا قَيْسُ إنك قد رُزِقتَ لقانةً ... ورُهِبْتَ من فَصْلِ الخطاب نصيبا

وأرى عليك من الحكيم مَلاحظاً ... تَرْمِى الغُيوبَ فلا يَعُدْنَ غيوبا

عَينُ البصيرة فيك وَهْىَ قويةٌ ... نَظَرَتْ تَرُودُ العالَمَ المحجوبا

أنا ما عرفتُك قبل ذاك شاعرا ... لكن عرفتُك فى النَّدِىِّ خطيبا

سبحان من لَقَّاكَ من آياته ... وَحَباكَ من صدق اليقين ضُروبا

قس :

إنى وجدتُ فى السماء خبَرا ... كما وجدتُ فى دُجاها عِبَرا

أمْعَنْتُ فيها وأطَلْتُ النَّظرا ... وَرُحْتُ أطوى فى مَدَاها الفِكَرا

أستَقرِئُ الشمس بها والقمرا ... وأقْطَعُ الفِكْرَ إليها سَفَرا

كأنَّ لي عِنْدَ السماء وَطَرا ... فألْهَمَتْنى من ذَراها سُوَرَا

رأيتُ فيها الخالِقَ المصوِّرا ... وقد تجلَّى وجهُهُ وأسْفَرا

يا لَيْتَ مَنْ أضاءَ لى ونوَّرا ... أضاءَ للأعشى الظلامَ الأكدرا

وفي هذه اللحظة تمر على الشعراء الأربعة فتاة فى برد يماني مخطط . وقد اعتدل قوامها وأسرعت خطواتها . . . فتنفض منها عيون ثلاثة من الشعراء . . . أما الأعشى فيتابعها بنظراته الطامعة الملتهفة . . . ولا ينصرف من النظر إليها حتى تواريها بعض الجدران فيوجه الكلام إلى « قس » :

الأعشى :

يا ناظِراً فى السماء اليومَ نَظْرَتَه ... هلاَّ أطلتَ لتلكَ القَيْنَةِ النَّظَرا

مرَّتْ بنا كوميضِ البرقِ مُعْجِلَةً ... كأنها الحُلْمُ بعد النَّوْمِ قد عَبَرا

تفوحُ أرْدانُها مِسكاً وأصْوِرَةً ... وَيَنفَحُ الغُصْنُ منها زَنبقاً عَطِرا

ما البدرُ أجْمَلَ إشراقاً ولألأةً ... منها إذا ما بدا فى الأفقِ أو ظهرا

انظرْ إلى الشمس فى أحضانِ غانيةٍ ... وتاجُ بين ذِراعَىْ حِبِّكَ القمرا

لا تقطع العُمْرَ تفكيراً وفلسفةً ... تَجْنى بها الشوكَ لا تجنى بها الزهرا

زهير :

صاحِبْنا الأعْشى نَطَقْ ... بِفِسْقِهِ وما صَدَقْ

ما الشِّعرُ يا أعْشى جُنُو ... نٌ وجُونٌ يُسْتَبَقْ

الشعرُ حِكمةُ تُصا ... دُ من جوانب الأُفُقْ

في الأرضِ فى السماء فى ... ضَوْءِ الصَّباحِ فى الغَسَقْ

حسان :

صَدَقتَ يا زُهَيرُ فالشِّعْرُ هِدَايَةُ البَشَرْ

مَنْ لى بِمَيْدانٍ أصُو ... لُ وأجُولُ بالغُرَرْ

أنشرُ عَضْباً قاطِعاً كأنهُ وَخزُ الإبَرْ ...

وهنا يمسك حسان لسانه ويضرب به أرنبة أنفه فى زهو وخيلاء ... من زهو الجاهلية ! ثم يتابع قائلا :

لسانُ حَسَّانَ الذى يَفْرِى به صَلْدَ الحَجَرْ
يَقْذِفُ بالحقِّ عَلَى الباطل مَهْزومَ الزُّمَرْ
إنّى أحسُّ أنّ لِى غداً مَكاناً يُدَّخَرْ
وأننى يَكونُ لِى فيه المَقامُ والخَطَرْ !

الرسول :

لعلّها أضغاثُ أحلامٍ فَدَعْ عنك الهذَرْ
فأىّ شأنٍ تَرْتجى ؟ وأىُّ أمرٍ تَنْتَظِرْ ؟

حسان :

لعلّ هَادياً بدَا لعلّ مُصْلِحاً ظهرْ
فَفِى بطاحِ مَكّةٍ شواهدٌ مِن الخَبرْ

زهير :

حَسَّانُ ! أنتَ مُلهمٌ وأنتَ صَادِقُ النَّظَرْ
بَشَّرَ عيسى بِنَبِيٍّ مَنْ عَصَاه قد كَفَرْ
يَا ليتنى يَطُولُ بى إلى لِقَائِهِ العُمُرْ !

حسان :

إنى أحِسُّ أننى مُدْرِكُهُ على الكِبَرْ
إنّ دَليلى صادقٌ ما خانَنى ولا غَدَرْ

زهير :

والحكماء عِنْدَهم على ظهوره أثَرْ
تَرَامَتِ البُشرَى به عِندَ النَّصارَى فى السُّوَرْ

حسان :

هُوَ الرَّسولُ المرْتَجَى هُوَ النَّبِىُّ المُنْتَظَرْ

وهنا يخفض قس طرفه من السماء قائلا :

هُوَ النَّبِىُّ المُنْتَظَرْ ...

محمد عبد الغنى حسن

صدرت منذ قليل الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

احمد حسن الزيات

ويطلب من إدارة الرسالة
ومن لجنة التأليف والترجمة والنشر

الثمن ١٢ قرشاً

صدرت منذ قليل الطبعة السابعة من :

تاريخ الأدب العربى

بقلم

احمد حسن الزيات

ويطلب من إدارة الرسالة
ومن لجنة التأليف والترجمة والنشر

الثمن ٢٠ قرشاً